المحاضرة الأولى

1_مدخل : مصادر التاريخ القديم:

الدّراس لهذا التخصص (التاريخ القديم) تعترضه عقبات كثيرة، ويُعزى السبب الرئيسي في ذلك إلى قلة المصادر الكلاسيكية الكتابية منها والمادية ، وبما أنّه لم يكن لنا في العهد القديم مؤرخون من أبناء المنطقة قاموا بتدوين تاريخ شمال إفريقيا القديم، فإننا نجد في المقابل قيام خصوم المنطقة من إغريق ورومان وكتابتهم عن تاريخنا وتاريخ باقي دول العالم القديم ذات التأثير الحضاري أو العكس، وقد كتبوا عن تاريخنا من خلال أحداث تاريخية وقعت بمنطقتنا- المغرب القديم-، وبالتالي ارتبط تاريخنا أشد الارتباط بمؤلفاتهم، ماعدا المؤرخ _ النوميدي_ الذي ظهر في وقت متأخر "القديس أغسطين". وعلى كل حال احتوت مؤلفات الأجانب من الاغريق والرومان أخبار هامة عن أحوال شمال افريقيا من الناحية التاريخية والجغرافية ولو أنها غير وافية.

2-أهمية المصادر الكلاسيكية:

تحتل المصادر الكلاسيكية الإغريقية والرومانية الصدارة في الإشارة إلى تاريخ بلدان وامبراطوريات العالم القديم وبخاصة بلاد المغرب القديم، و رغم ما يسودها من خلط وتشويه وتكرار، يأتي في مقدمة هذه المصادر الرحلات التي جاب أصحابها شواطئ بلاد المغرب منطلقين من الشرق إلى الغرب أو العكس، إذ تضمنت هذه الرحلات وصفاً لبعض الأماكن والقبائل والثروة النباتية والحيوانية...الخ الموجودة ببلاد المغرب، ومن هذه الرحلات رحلة سيلاكس البحارة والجغرافي الذي وصلتنا كتاباته تحت عنوان "رحلة سيلاكس"، ورغم ما يشوب نصوص هذه الرحلة من غموض وتشويه إلاّ أنها تضمنت أسماء بعض الأماكن الممتدة على كامل سواحل ليبيا القديمة، ابتداء من خليج السيرت الكبير حتى أعمدة هرقل، كما أوضحت الرحلة بأنّ كامل المدن الموزعة على شواطئ ليبيا القديمة هي موانئ قرطاجية، ومن بين أهم المدن التي ورد ذكرها نجد: روسيكادا (سكيكدة)، صلداي (بجاية)، أيول (شرشال)، كارتينا (تنس)، سيقا (عين تيموشنت).

3-العلاقة بين المؤرخ والمصادر:

في شأن مصادر التاريخ القديم يتناول المؤرخون والباحثون بالتحليل والتحقيق والنقد مختلف المصادر التي تحدثت حول العديد من الحضارات البشرية من خلال المعيش اليومي للإنسان، ومن خلال مراسيمه الاحتفالية

المتمثلة في العادات والتقاليد المختلفة، ومن خلال معتقداته وفنونه ومن خلال الأثار التي تركها حول ماضيه الحضاري(سكن- معابد-قصور...الخ) لِيُفسروا بواسطتها وبقدر الإمكان ظاهرة الحاضر أنداك ، ولعّل الباحث وبدرجة كبيرة يجد نفسه في أمس الحاجة إلى هذا النوع من المصار- الاثار المادية- دون إغفال للمصادر الأدبية.

4-أنواع المصادر الكلاسيكية:

أ-المصادر الأدبية:

تشمل مؤلفات المؤرخين والخطباء والشعراء والكتاب الرومان أو اليونان الذي وصلتنا بواسطتهم معلومات تاريخية عن المنطقة الليبية أو منطقة افريقيا الشمالية، وهذه المؤلفات تتضمن معلومات تفيد في كتابة تاريخ روما القديمة وتاريخ مدينة قرطاجة، وتاريخ النوميديين وملوكهم القدماء، بل تاريخ مدن بلاد المغرب القديم بصفة عامة التي أنشأت في العهد الافريقي المبكر، أو العهد الفينيقي ، أو العهد الروماني مثل إيكوسيوم ومدينة إيجليلي ومدينة سيقا و سيرتا وتيمقاد وكويكول وسيطيفس القيصرية...الخ.

ب- **المصادر المادية:**

يستند الباحث في التاريخ القديم بالدرجة الأولى على الأثار، غير أن الاهتمام العالمي بهذا الشأن لم يأخذ مجراه الطبيعي إلاّ عند نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، فقبل هذا التاريخ كانت الأثار تفسر تفسيرا أسطوريا ، ويتم النَّبش فيها للكشف عن أسرار سحرية أو الكنوز فقط، وليس بهدف تفسير وجودها وهويتها، والمصادر الغير أدبية أو غير كتابية تتألف- تتكون- من الرسوم والنقوش الكتابية، والمسكوكات والأثار المادية التي اكتشفها علماء الأثار وبفضل هذه الأثار تمّ حل وفك الكثير من الرموز الغامضة، ولكن مفتاح سر كشف حضارة المغرب القديم يكمن في فك رموز الكتابة الليبية التي لم تجد حلا نهائيا لها بعد ، مثلما فعل " جان فرانسو شامبو ليون" عندما فكّ رموز اللغة الهيرغليفية الفرعونية، وبذلك حصل على انتصار كبير في اكتساب معارف ثمينة تخص جوانب عديدة في الحضارة المصرية القديمة.

5-نماج قديمة في مجال البحث الأثري:

*النموذج الروماني:

على سبيل المثال لا الحصر نجد في فترة الإمبراطورية الرومانية الإمبراطور "هدريان**Hedrien**" من الشغوفين بالأثار، بل يلاحظ انطلاقه في رحلاته خارج الامبراطورية الرومانية للاطلاع على أثار العالم القديم، كما

هو الشأن عندما زار رفقة عائلته مصر، غير أنّ الاهتمام بالأثار لم يرقى دائما إلى المستوى المطلوب والمرجو بسبب عدم تقدير قيمتها التاريخية، فمن جانب أخر وبعد انتشار الديانة السماوية وتبنيها بصفة رسمية من طرف السلطات الحاكمة، أصبح ينظر إل هذه الأثار كبقايا وثنية غير جديرة بالحفظ، وبالتالي يستلزم تدميرها، ومن جانب أخر فإن عمليات السطو التي لم تنقطع منذ القدم، والتي كان يحركها دافع البحث عن ثروات وكنوز مطمورة، كان يؤدي إلى تدمير تلك الأثار كلياً أو جزئياً، و منها تهشيم أنوف التماثيل، هذا ودون أن ننسى استعمال حجارتها من طرف الأهالي في بناء مساكنهم، بل وحتى من طرف الحكومات(نموذج مصر في عهد محمد علي والمغرب حتى في فترى متأخرة) لِإقامة مشاريع عمومية، لكن هذا كله كان قبل ظهور مصالح حفظ الأثار.

** النموذج البابلي:

نجد أخر ملوك البابليين" نابونائيد"مثلا قام بالحفر في الأحجار الأساسية لمعبد كان يقدر تاريخه بحوالي3200 سنة لِيعرف مبلغ قِدَمِه.

وخلاصة القول نجد إشارات للعديد من المؤرخين والرومان وكذلك بعض الجغرافيين ونذكر في هذا الصدد المؤرخ اليوناني "ثوسديد-460-395ق.م" ، والمؤرخ الروماني بلين القديم 23ق.م-79م وغيرهم نَوَهُو في بعض كتاباتهم بعلم الاركيولوجيا (الأثار).

المصادر الكلاسيكية الاغريقية:

1-مدخل الى مصادر التاريخ اليوناني :

كما ذكرنا سلفاً نعتمد في دراستنا للتاريخ على نوعين من المصادر :النوع الأول هو المصادر الأدبية Sources Littéraires وهي تضم المؤلفات القديمة التي كتبت في فترة معاصرة للأحداث أو بعدها بمدة قصيرة أو طويلة ، هذه المؤلفات لا تقتصر على كتابات المؤرخين فقط و إنما تشمل أيضا ما كتبه الشعراء من الأناشيد و

الملاحم ، و الفلاسفة و الخطباء و كتاب السير و الجغرافيين، ذلك أن دراسة التاريخ لا تعني فقط بأمور السياسة و الحكم و الحرب، و إنما تهتم أيضا بأحوال الشعب الاقتصادية و الاجتماعية و العقائدية و الفكرية وغيرها .

أما النوع الثاني من مصادر دراسة التاريخ اليوناني هي المصادر التي اتفق الباحثون على تسميتها بالمصادر المادية Sources Matérielles و هي تشمل دراسة الوثائق البردية و النقوش و الرسوم و الإصدارات النقدية و البقايا الأثرية سواء المنقوشة منها أو الصماء .

هذه القواعد العامة تنطبق في أغلب الدراسات التاريخية، وهي تنطبق تماما على تاريخ الاغريق فنحن نعتمد في كتابة تاريخ الإغريق على المصدرين المشار إليهما ، حيث يتم دراسة ما تركه المؤرخون من أمثال هيرودوت ، ثوكيديد (ثوسيديد) ، كسينوفون ، بوليبيوس وغيرهم ، وما نظمه الشعراء أمثال هوميروس و هيزيود ، بندار وأخرون ،كما أنّ ملاحظة الحياة الفكرية الاغريقية ومتابعة تقلباتهم وصراعاتهم السياسية نجده من خلال ما نقرأه عند سقراط، أفلاطون و أرسطو .

لكن، لا تكتمل الصورة عن تاريخ الاغريق و حضارتهم إلا بدراستنا لما تقدمه الحفائر من مكتشفات أثرية ومن هذه المصادر مجتمعة يستخرج الباحثون الحقائق التاريخية .

إذن امتاز الادب اليوناني بالتطور المستمر حيث رافق التطور الحاصل في المجتمع الاغريقي و ازدهار حضارته ومن فروع الأدب "الشعر" حيث تعد –الأناشيد– و –الملاحم– أولى فنون الادب الإغريقي .

وبما أنّ من مصادر الكتابة التاريخية الشعر الذي يلقي الضوء على جوانب حضارية مختلفة من سياسية و اجتماعية فهو يساعدنا على التعرف على التاريخ الاغريقي و العالم الاغريقي في مختلف مراحل تطوره سواء كان شعرا ملحميا أو شعرا غنائيا، حيث وجد الاغريق في الشعر مجالاً خصباً للتعبير، كما كان الشعر مِرأة الفنون الاغريقية وارتبط بها ارتباطا وثيقا، ومما يلاحظ خاصة في الآداب الاغريقية بنوعيه الشعر و النثر هو ارتباطهما بالجانب الديني، حيث لا يمكن فصلهما عنه، حيث استمد الشعراء شخصياتهم و رموزهم من المعتقدات الدينية و الميثولوجيا و لذا لابد من فهم هذا الجانب من تاريخ الاغريق لما له من ارتباط بآدابهم، و من أهم الاشعار التي وصلتنا أشعار هوميروس التي تمثلت في ملحمتي الإلياذة و الأوديسا و التي أعطت معلومات عن المجتمع الاغريقي أيام الحرب الطروادية .

فالأناشيد و الملاحم هي أولى فنون الأدب اليوناني، إذ ظهرت في فترة ما قبل التاريخ أو عصر الأبطال وكذلك الاساطير ، و تبدأ هذه الفترة بنزوح القبائل الأرية إلى بلاد اليونان في القرن 15ق.م وتنتهي في منتصف القرن 8ق.م

و أهم أثارها الأدبية التراتيل الدينية و الملاحم، و أشهر الشعراء الذين نظموا الأناشيد. نذكر :أورفيوس و ليتوس وموسايوس ،غير أن الملاحم هي التي وصلتنا بينما الأناشيد لم يتبق منها شيئا لذا تعد الملاحم اقدم القصائد التي وصلتنا من الادب اليوناني ، وهذه الترانيم أو الأناشيد الدينية هي التي شكلت أساس و نواة شعر الملاحم الذي وجد في المدن الايونية التي كانت أولى مراكز نموه و أصلح بيئة أدبية لتطوره وازدهاره وقد مرت هذه الأناشيد ب3 مراحل :

تبدأ المرحلة الأولى منذ غزو القبائل الأرية لبلاد اليونان وهجرة بعضها إلى أسيا الصغرى ، هذا الغزو الذي بدأ في حوالي 1500ق.م ، وفي ذلك العصر نشبت حروب كثيرة وحدثت مغامرات عظيمة قام بها ابطال اليونان نذكر : قصة بليوبسPelops ، قصة تدمير طيبة ، رحلة السفينة أرجو، أعمال هيراكليس، مغامرات تيسوس ، حرب طروادة وهي المواضيع التي تغنى بها المنشدون الذين عاصروها .

المرحلة الثانية : وهي عصر الشعراء المتجولين والذين كانوا يعتمدون على الذاكرة في حفظ الأناشيد القديمة فكانوا يحفظونها ويرددونها بعد أن يُضيفوا إليها ، ويقال أن هؤلاء الشعراء قد عاشوا في الفترة الممتدة مابين القرنين 11و10قبل الميلاد.

المرحلة الثالثة :وهي المرحلة التي ظهر فيها شعراء أخرون يُعرفون بالمنشدين وينسب إليهم تنظيم الأناشيد السابقة و التوفيق بين رواياتها و الإضافة إليها، و كانت هذه البداية لِنظم الملاحم اليونانية الأولى التي سبقت ظهور هوميروس، فليس من المعقول أن يبدأ الأدب اليوناني بالقصائد الهوميرية دون تلك المراحل البدائية ، فشعر هوميروس لم ينشأ من عدم وأشعاره تصف لنا وقائع حرب طروادة وأعمال أبطالها على أنها أساطير تمت إلى عصور مضت قبل وجود هوميروس بوقت طويل.

المحاضرة الثانية.

2-نماذج من مؤرخي الإغريق

1-هوميروس

***تعريفه:** لايعرف عن تاريخ ميلاد هوميروس و لا موطن ميلاده الذي كان محل خلاف بين الباحثين ، حيث لم يذكر هوميروس شيئا عن حياته في أعماله، وقد شكك النقاد بوجوده، فهوميروس كان شخصا خرافيا بالنسبة للبعض ، وقال البعض أنه وجد وكان اسمه الحقيقي مليسيجينيس **Melesigenes** ولقب ب: هوميروس لِأنه كان أعمى أو لِأنه وقع أسيرا في أحد الحروب أو لِأنه اهتم بتنظيم و تنسيق أشعار من سبقوه ، كما اختلفوا فيما يتعلق بمسقط رأسه حيث ادعت جميع المدن اليونانية أنه منها، أي "المدن الأيونية" الواقعة على سواحل أسيا الصغرى ، وبذلك يكون هوميرس أيوني الأصل ، وعن وفاته تذكر بعض الروايات أنه مات منتحراً بعدما عَمَّرَ طويلاً و زار العديد من البلدان وهو مايدل عليه ضخامة إنتاجه الأدبي.

****أعماله:** ظهرت في اليونان طبقة من الشعراء المتجولين الذين كانوا ينتقلون من مدينة لأخرى ومن قصر أحد الامراء لغيره يلبسون ثيابا مزخرفة ويعصبون رؤوسهم وينشدون القصائد الشعبية الحماسية التي يرجح انهم قد استقوها من القصائد القديمة ، إذ يضيفون اليها أشعارا جديدة من تنظيمهم ، وقد أشار هوميروس في الاوديسة الى هؤلاء الشعراء المنشدين في إمارة إيثاكا **Ithaque** موطن أوديس، وينتمي هوميروس الى الشعراء المتجولين وقد كتب لاسمه الخلود ونال شهرة عالمية.

*****مكانته :** تناول أغلب الكتاب القدامى أشعاره وجعلوا منها مصدرا يمكن الاعتماد عليه في التأريخ للاغريق ، ومن الذين تعلموا أشعاره الإسكندر المقدوني ،كما كان فقهاء الاغريق يُلقنونها للعامة تهذيباً لِأخلاقهم وتثقيفا لعقولهم، وكان ذلك تحت رعاية الملوك مثلما فعل "صولون" ، فقد أنزلها اليونانيون من أنفسهم منزلة مقدسة و اعتبروها المرجع الأول لتعاليمهم الدينية و الخلقية فقرروا تدريسها وحفظها في المدارس، وقد فاق الاثينيون اليونان جميعا في تقديرهم لِأشعار هوميروس ، إذ قرر صولون إنشادها في أعياد الباناثينا واهتم الطاغية بسيستراتوس بها ووصف الادباء مدى تأثرهم بأشعار هوميروس ، وأصبح يُقام من أشعار هوميروس الحجة في القول ، حيث إذا أراد أي

إنسان أن يثبت حجته أو يدعم رأيه في أية مسألة مطروحة علمية كانت أم فلسفية ، دنيوية أم لاهوتية يعود ويستشهد بهوميروس و أشعاره، وعزّ على جميع الادباء و الشعراء أن يرقوا الى مستواه فقدّسوه.

و لكن تعذّر على البعض من النقاد و الباحثين أن يؤمنوا بوجوده فأنكروه وقالوا أنه أسطورة من الأساطير ، وكثير من تحدث من القدامى على هوميروس حيث نذكر على سبيل المثال لا الحصر هيرودوت في تاريخه الذي كثرت إشاراته إلى هوميروس ، إذ ذكر في الكتاب الثاني في الفقرة 53 من تاريخه ".....وأنا اعتقد أن هيزيودوس وهوميروس عاشا قبل عصري بأربعمائة سنة لا أكثر وهما اللّذان دوّنا لليونانيين أنساب الألهة وسمياها بألقابها....، كما واصل هيرودوت إلى نفي وجود شعراء إغريق سابقين لهوميروس معتبراً هوميروس أول الشعراء ، كما عاد هيرودوت مطولا إلى أحد الشخصيات التي برزت في الالياذة وهي "هيلين" ."التي خصّص لها تحليلاً مطولاً في الكتاب الثاني .

إلى جانب هيرودوت، ذُكر هوميروس في "جغرافية سترابون" وفي أعمال بلوتارخوس، أفلاطون، أرسطو وأخرون .أما في الفترة الحديثة فأوّل من أعطاها الطابع الأكاديمي هو العلامة الألماني "فولف **Wolf**" في كتابه "مدخل إلى هوميروس" .

أما عن المصادر التي اعتمد عليها هوميروس في أعماله فنذكر منها المصادر الشرقية وقصص وأساطير لشعوب أخرى مصرية كانت أو سومرية أو غيرها ، ولكن بالرغم من هذه الاقتباسات فقد تميّز الإغريق بالقدرة الفائقة على أن يصنعوا مما يأخذون عن الغير شيئا جديداً يتفق مع طبائعهم و ميولهم ورؤيتهم للحياة و أسلوب معيشتهم.

******مؤلفاته:**

1/ الالياذة :

وهي ملحمة قتال وحرب ، تزخر بصور الشجاعة و البطولة و تمجيد الرجل، ومع هذا نجد دور المرأة الهام من خلال تخصيص مواضيع لها وهي حسب هوميروس حرب نشبت واندلع لهيبها بسبب امرأة جميلة وهي هيلين زوجة مينلاوس ملك إسبرطة وهو السبب المباشر و الدبلوماسي الذي قدمه هوميروس لهذه الحرب ، لكن سبب الحرب أعمق وأهم من ذلك بكثير .

ومع ذلك خلّد هوميروس الذي عاش في القرن 9ق.م ذكرى هذه الحرب التي سبقت وجوده بحوالي ثلاثة قرون في ملحمة شعرية تعرف بالالياذة أي قصة إليوس التي ذكرت فيها شخصيات بطولية و إلهية وملكية ، ومن الشخصيات البطولية نجد إخيلوس (أخيل) بطل الاغريق ، هكتور بطل الطرواديين.

لابد من الإشارة أيضاً أن هوميروس لم يذكر أحداث الحرب التي استمرت 10سنوات، وإنما حلقات من الحرب، منها ما حدث في الأسابيع الأخيرة من السنة العاشرة لحصار طروادة ، و لا يختم هوميروس الإلياذة بسقوط طروادة بل يختتمها بمصرع هكتور على يد اخيلوس وإجراء مراسيم دفن البطل الطرواديّ.

استمر حصار طروادة تسعة سنوات واستطاع الاغريق فتحها في العام العاشر ، وتبدأ الملحمة بمشهد إرتجالي للغضب وتنتهي بهدوء الغضب ،وهناك من يرى أن ملحمة الالياذة يهتم جزء منها بمعاناة الانسان و فنائه ، وأن أهم ما يميز الالياذة قبل كل شيئ هو رؤيتها التراجيدية للجنس البشري وتعبيرها عن ذلك.

2/الاوديسا L'odyssée:

وهي ملحمة تقصر عن الإلياذة بضعة الأف من الأبيات حيث تتكون من 12ألف بيت ، ويرجح أن الشاعر هوميروس قد نظمها في شيخوخته وموضوعها رحلة أوديس Udysse أثناء عودته الى بلاده بعد انتهاء حرب طروادة . و القصة بأجمعها لا تتناول إلا أربعين يوما ولكن فيها من الحقائق مايكاد يعادل الالياذة .

قسم النقاد الأوديسا إلى 24أنشودة، و تنقسم بدورها إلى 03أجزاء رئيسية، وهي رواية طويلة حافلة بالمغامرات و قصص البحار ودور النساء فيها أبرز منه في الإلياذة حتى قيل أنها كتبت لتمجيد المرأة ، في المقابل صورت الأوديسا غضب الإله "بوزيدون" ونقمته بعدما تسبب أوديس بعماء ابن الاله بوسيدون الذي يعرف باسم العملاق. في المقابل مجدت الأوديسة الشعب الاغريقي و تُظهر تعلقه بوطنه ،لكن بين الأوديسا و الالياذة شبه كبير في النهج و السياق مما يدل على أن الناظم واحد ، وبما تخللهما من القصص و التاريخ.